

مقدمة

تتناول هذه الأحاديث آيات من سورة الإسراء تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

وتنتهي بقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

هي تسع وعشرون آية تبدأ بالحادية عشرة وتنتهي بالتاسعة والثلاثين. وهي ثلاثة موضوعات مترابطة:

الأول: الإنسان والزمان: الزمان الكوني والزمان النفسي. بعبارة أخرى: الزمان في ذاته وإحساس الإنسان به، أو: وضع الإنسان في حركة التاريخ وحركة النفس. (الآيات: ١١، ١٢).

والثاني: الإنسان والمسئولية الفردية والجماعية. وهي مما تفرّد به الإسلام بين الأديان السماوية (اليهودية والمسيحية). وله في المسئولية موقفه الذي أكدّته آيات القرآن فيما نزل في مكة والمدينة. وهي من ثوابت الفكر والعقيدة الإسلامية. (الآيات: ١٣، ٢١).

الثالث: الوصايا وهي الطريق الذي يسلكه الإنسان في حياته.

وإذا كانت الوصايا تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ باعتبارها الوصية الأولى والمحورية، فهي وثيقة الصلة الآية قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾. هذه جاءت ناهية، والتي تليها جاءت موجبة داعية (٢٢ - ٣٩).

ولك أن تقول: إنها ثلاثة موضوعات جاء الإنسان في محورها: خط يربطه بحركة الوجود، وخط يربطه بخالق الوجود، وخط يحدد له الطريق والسلوك في الحياة.

ما قبل هذه الآيات عشر:

-أولاهما وهي مطلع السورة تتعلق بالإسراء، وفيها نرى أن المعجزة قانون ذاتها، وليست حَرْقًا لقانون. إنها في ذاتها قانون أعلى. والله الأمر جميعاً. والتسع التالية تطبق من حياة بني إسرائيل، ليكون لنا عظة وعبرة.

وإذا كانت الآيات العشر "تاريخاً" حدث، فإن هذه المجموعة بموضوعاتها الثلاثة "تاريخ متجدد". إنها عقيدة وفكر وطريق مستمر ما بقي الوجود. ويأتي من بعدها عرض يجمع بين العقيدة والتاريخ والحوار وختم الرسالة، وتفصيل لما جاء مجملًا في الوصايا، ويأتي في ختام السورة بيان لمكانة القرآن الكريم، وحمد الله وتوحيده وتمجيده وتكبيره على ما خلق وقدر وهدى.

(٢)

والوصايا لها مكانتها في الفكر الديني على امتداده الزماني والمكاني. ولعل الوصايا العشر هي أوسع ما حفظه التراث الديني قبل الإسلام، ذكرها العهد القديم. من أجل ذلك تناولتُ دراستها المقارنة مع وصايا سورة الإسراء ووصايا سورة الأنعام. ووقفت في المقارنة عند هذا المدى، دون أن أتناول ما جاء في وصايا أنبياء بني إسرائيل، ولا الموعظة على الحيل في العهد الجديد، ولا خطبة حجة الوداع للمصطفى عليه وعلى جميع الأنبياء صلاة وسلام. ومع أننا نؤمن أن ما صحت نسبته إلى الأنبياء في أمر الدين إنما هو مما أوحى به الله إليهم.. إلا أنها ليست في منزلة الوحي المنزل ليكون من كلام الله في كتبه.

ولقد ذكر القرآن لنا وصية جامعة لكل الوصايا. وذلك قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾ (النساء: ١٣١ - ١٣٢).

والجملة المحورية في هذه الوصية هي "اتقوا الله"، والكلمة المحورية هي "التقوى" وعليها تقوم جميع الوصايا الأخرى، وكأنها فروع نابغة منها.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن وصفهم بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨).

وهذه الآية الخاتم من سورة النحل، هي مدخلنا إلى الحديث عن سورة الإسراء، وهي السورة التالية لها في كتاب الله. وهكذا يأتي التفصيل بعد الإجمال، ويرتبط ختام سورة النحل بموضوع سورة الإسراء.

كتبه

عبد العزيز كامل

رأس السالمية - الكويت

في ذكرى المولد النبوي الشريف

١١ من ربيع الأول ١٤١٠ هـ

١١ من أكتوبر ١٩٨٩ م

ولنقرأ معاً آيات سورة الإسراء التي سنتناولها هذه الأحاديث :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝١٦ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا
عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابِ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ۝١٧ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي
عُنُقِهِ ۖ وَخَرَجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابٌ يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٨ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٩ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ
وِازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ۝٢٠ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا
مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝٢١ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن الْقُرُونِ مِن
بَعْدِ نُوحٍ ۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝٢٢ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ
فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝٢٣ وَمَن أَرَادَ
الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝٢٤ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ
وَهَؤُلَاءِ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ ۖ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٥ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢٦ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ
مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٧ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا ﴿٢٢﴾ وَخَفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
 ﴿٢٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ؕ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٤﴾
 وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذَرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٥﴾ إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا
 إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٦﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ
 تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٧﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
 الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ؕ إِنَّهُ كَانَ
 بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ؕ إِنَّ قَتْلَهُمْ
 كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۖ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ
 فِي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
 أَشُدَّهُ ؕ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٣﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا
 بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ؕ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ
 السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ
 لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٦﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا
 ﴿٣٧﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۖ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ؕ آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ
 مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٨﴾

(الإسراء: ١١ - ٣٩).